العولمة من منظور فلسفة النقد

المدرس المساعد
صباح حمودي نصيف (*)

المقدمة

إن من مزايا المشروع النقدي الكانتي، أنه طرح منذ البداية قضية الفصل بين العلم والفلسفة والذي يمكن أن نطلق عليه بـ(القطيعة الأبستمولوجية) حسب عبارة باشلار(ت ١٩٦٢م)، وهنا تساؤل كانت عن أسباب نجاح العلم وفشل الميتافيزيقيا، دفعه ذلك إلى السعي لتأسيس (ميتافيزيقا يمكن أن تصبح علماً) بسبب عمق الأزمة التي لازمت الفلسفة في مواجهتها لتطور العلوم وكيفية التألق معها وإعلان فعاليتها في الحقل المعرفي كان هذا قبل قرنين من الزمان حصل فيه الكثير من التقدم والتطور فكيف نواجه هذا الوضع المحرج في ظل العولمة الذي يدفعنا إلى التوقف عند اللحظة الزمنية الراهنة، لنلتمس معطياتها ودلالاتها المعرفية والقيمية مادام الحكم على (العولمة) لابد أن يأتي من (الفلسفة) بعامة وفلسفة التاريخ والحضارة بخاصة ولاسيما أن الدراسات المستقبلية والمقارنة تدرك القوانين الخفية للظواهر والحوادث والأحداث الماضية واللاحقة(١)، والتي لم تظهر بسبب انتعاش النظام الرأسمالي العالمي فحسب، وانما بسبب حدوث بعض التغيرات في العالم مطلع تسعينيات القرن العشرين،ومنها انهيار الاتحاد السوفيتي ومجموعته، وسقوط حلف وارشو ليمنح العولمة فرصة العصف باقتصاد البلدان النامية قبل غيرها.

فالعولمة إذن تعني نظام تفرد وهيمنة مبنية على اساس الاحتكارات والنزعة التوسعية للدول الراسمالية، اذ يستند نظام العولمة على ايدلوجية اليد الخفية التي يقوم عليها النظام الرأسمالي العالمي المبني على ألية السوق وسياسة الانفتاح الاقتصادي ومنح الحريات امام انتقال الاستثمارات والسلع والخدمات وخلق مؤسسات اقتصادية ومالية ذات طابع عالمي، تشكل مركزاً للقرار العالمي الذي يمنح دوراً اكبر للشركات المتعددة الجنسيات وتعميق الطابع العالمي الرأسمالي وفق رؤيا امريكية ، والذي ينتج عنها تهميش بلدان العالم الثالث ومنها اقطار الوطن العربي والحاقها بالاقتصاد العالمي والسيطرة على مواردها لهذا السبب أختلفت أراء الباحثين والمفكرين حول حقيقة (العولمة) وأطارها الفلسفي ومرجعياتها المعرفية، مادام الأختلاف أمر واقع في كل قضية من قضايا الفكر الإنساني، وهو جزء من آلية (الفلسفة الكيوسية) والتي من واجبها نشر الفوضى تحت ذريعة أكتشاف (قوة النظام الرأسمالي)(٢) عليه سيعمد كاتب السطور في هذه الدراسة إلى تناول الموضوعات الآتية نقدياً:

(*) مدرس كلية الاداب –الجامعة المستنصرية.

(١) علي حسين الجابري: العرب ومنطق الأزاحات ـ دراسة في حقيقة العولمة ومصيرها، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥ .

(٢) علي حسين الجابري، الإنسان المعاصر بين غروب الحضارة وأغترابه ـ دراسة في جدلية الخوف ، ط١، دار مجدلاوت للنشر، عمان، ٢٠٠٥ .

(حقيقة العولمة، أنماطها الأربعة، ومخاطرها، وكيفية معالجتها عربيا) وهو ما نأمل أنجازه بموضوعية وتجرد. ومن الله التوفيق.

أولاً: حقيقة العولمة:

دراسة العولمة في كونها ظاهرة تاريخية مثلت احدى التحديات التي فرضت نفسها على المجتمعات المعاصرة المتقدمة منها والنامية على حد سواء، فازدادت فيها التصدعات التي تعكس معاناة المجتمعات في مواجهة سياسات الهيمنة والتسلط الذي يزداد يوماً بعد آخر، حتى أصبحت العولمة مصدر تهديد جدي للأمن العربي بكل ابعاده، وتتسع الفجوة بين دول المركز العولمي الجاذب ودول الاطراف، في ظل ما يسمى (بالنظام الدولي الجديد)، الذي يعمل ضمن آليات العولمة الجديدة والتي تشمل أوسع عملية اختراق لكل البنى التاريخية والقومية في العالم ، وخاصة تلك الدول التي تمتلك ارثاً حضارياً واقتداراً اقتصادياً وموقعاً ستراتيجياً فعال في القارات الآسيوية والاوربية والأمريكية اللاتينية، ولهذا نلاحظ استغلال الولايات المتحدة الأمريكية هذا النمط من العلاقات لصالحها في عقد التسعينات من القرن الحالي مستثمرة فرصتها التاريخية بعد غياب المنافس القوي (الاتحاد السوفيتي) ووفقاً لهذه الرؤية فهي تمثل تهديداً خطيراً لمصالح الدول النامية ومنها وطننا العربي لنزعتها الاحتكارية، وخلوها من المضمون الاجتماعي.

إذ كان الصراع بين الغرب والاتحاد السوفيتي صراعاً أيديولوجياً يتصل بالأقتصاد والسياسة والمصالح وعمليات تسطيحية لجوهر الصراع بين المذاهب الفلسفية على أساس الحق والباطل والعقل وما ليس بعقل، وهكذا يرى بعض الباحثين أن الصراع بدأ يتجه (جنوبا) نحو الدول العربية والشعوب الإسلامية باسم (الأرهاب)، والذي يقود هذا السياسيون ودوائرهم المخابراتية ومن وراءها الشركات العالمية والشركات المتعددة الجنسيات، إذ أن عدم ربط هذا الأمر جيداً وعدم الألتفاف إلى حقيقة الصراع سيجعلنا نتصور أننا عدنا إلى الحروب الصليبية، بعدها تشكل صراعاً اقتصادياً استعمارياً، صراع مصالح تتمظهر بمظهر التبشير الديني والصراع المذهبي، وأن هذا الصراع، هو صراع بين السياسات الغربية الاستعمارية وبين الشعوب النامية ودول العالم الإسلامي، وإن مثل هذه الدعوة عن حرب غربية ضد الإسلام تجعلها ترفض ليس سياسته فحسب بل وكل ما يمت إليه من أمور عصرية وتوجهات عقلية[٣] معادية.

---

(٣) د. حسام الألوسي : حول العقل والعقلانية العربية، ط١، دار القدس للنشر، عمان، ٢٠٠٥. وايضا : د. علي حسين الجابري ، العرب ومنطق ، المصدر السابق، ص ١٠٧ ومابعدها

أما مفهوم العولمة فنجمل التعريفات فيما يأتي:

١ـ فالعولمة لغة في اللسان العربي من (العالم) ويتصل بها فعل (عولم) على صيغة فوعل وهي من الموازين الصرفية العربية، ودلالة هذه الصيغة انها تفيد وجود فاعل بفعل[٤].

٢ـ اما العولمة اصطلاحاً، فهي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقلة من المحدود المراقب الى اللامحدود الذي يناي عن كل مراقبة، والمحدود هنا هو أساساً (الدول القومية)، أما اللا محدود فالمقصود به (بيع العالم)[٥] والمتاجرة به وفيه.

ويمكن استعارة التعريف القائل: إن العولمة أرقى شكل من أشكال النمو الرأسمالي (السرطاني) السوبر أمبريالي في ظل القطبية الواحدية، والثورة المعلوماتية، وسلطة القوة القاهرة التي عرفت بها الولايات المتحدة الأمريكية يتعامل فيها أدوات مادية هي (المال والإعلام والمعلوماتية) مؤطرة بمنظور أيديولوجي واضح من صدمة المستقبل ونهاية التاريخ وصدام الحضارات) مع جميع الأختلالات التي صاحبت العلاقات الدولية بسبب تربع (أمريكا) على عرش العالم (والأمم المتحدة ومجلس الأمن) والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي أعتماداً على منطق (القوة)[٦].

وفيما يتعلق بتعريف العولمة، يمكن القول ان صياغة تعريف دقيق وجامع يبدو عملية ليست سهلة، وذلك لان المفهوم لازال غامضا فهي ظاهرة جديدة وفي طور التكوين ، ولم تتوضح معالمها بعد ، كما ان من الباحثين من يقف عند حدود وصف جانب من جوانبها، او جزئية من جزئياتها، ولذا فالتعاريف والرؤى للعولمة، تختلف ابعادها وتجلياتها ومؤثراتها باختلاف منطلقات الباحثين فيها، وبما أن احدى مشكلات العولمة تكمن في تعريفها، فأن من الممكن أن تصنف هذه التعريفات حسب ابعادها التي تعبر عنها، فالتي تركز على البعد الاقتصادي يعبر أصحابها عن اتجاهات مؤسسات اقتصادية عالمية، اما التي تركز على البعد الثقافي كونها تعد الثقافة سلعة، أما التي تركز على البعد السياسي، فهي تؤكد على احادية السياسة العالمية الحالية، وسوف نتعامل مع هذه القضايا (نقديا) قدر المستطاع.

---

(٤) ابن منظور: لسان العرب ، ط١ ، مجلد ١٣ ، دار الصادر، بيروت، ١٣٠٠هـ ، مادة عولمة .

(٥) السيد ياسين: العرب والعولمة ، ط٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ٢٠٠٠ .

(٦) د. علي حسين الجابري : العرب ومنطق ، المصدر السابق ، ص ٢٥.

ثانياً: انماط العولمة :

مثلما للعولمة أشكال وأنواع أظهرها (الاحتكارية والاجتماعية) فأن لها انماط متعددة ومختلفة، فهي لم تكن ذات شكل واحد أو صورة واحدة ، بل ان كل صورة من هذه الصور هي عولمة بحد ذاتها، فيمكن ان نقول ان هناك عولمات عديدة، كالعوامة في مجال المعلومات، وعولمة في مجال المال و٠٠٠و٠٠٠٠ واي مجال آخر من مجالات الحياة، ولهذا نستطيع القول بان انماط العولمة التي ظهرت لحد الآن وبنت لها مؤسسات وركائز في المجتمع[٧] هي:-

١ــ العولمة السياسية

ركزت على البعد السياسي، كونها اعلان لنهاية (سيادة الدولة) أو تقليص دورها، واعتبار ان الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات العالمية شريكاً للدولة في صنع قراراتها السياسية، لذا فالعولمة السياسية تعني (نقلاً لسلطة الدولة واختصاصاتها الى مؤسسات عالمية تتولى تسيير العالم وتوجيهه وهي بذلك تحل محل الدولة وتهيمن عليها)[٨].

فضلاً عن ذلك ان الولايات المتحدة وتحت غطاء العولمة السياسية ، انتهجت سياسة متاثرة بعنصرين اساسيين هما (بريطانيا والمانيا)، فهي تاثرت ببريطانيا من ناحية سيطرتها على البحر والجو واستعمال هذه السيطرة لخلق توازنات اقليمية في انحاء العالم، ومنع أي قوة من النمو لكي تنافس الولايات المتحدة، من دون أن تدخل هي مباشرة في صراعات عسكرية، ولاسيما ان شكل سياستها هو تاثرها ببسمارك الذي تقوم سياسته على اقامة المانيا علاقات مع جميع القوى الكبرى في اوربا باستثناء فرنسا بحيث يكون لهذه الدول نفع في علاقاتها مع المانيا اكثر من قطع علاقاتها معها، لذا فامريكا جعلت نفسها مركزاً لعلاقات العالم السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والثقافية، من خلال إقامة علاقات مع اغلب دول العالم بحيث تكون هذه الدول مستفيدة من علاقاتها مع امريكا ولا يمكن ان تتخلى عن تلك العلاقة، وعليه فأنه ليس من باب المصادفة ان يكون مقر الامم المتحدة في نيويورك، والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي في واشنطن[٩]، ومن هنا نلاحظ ان صناع العولمة يحاولون الترويج الى الغاء الحدود السياسية بين البلدان على اساس ان سلطتهم هي اعلى من سلطات الدولة.

---

(٧) السيد ياسين: المصدر السابق ، ص١٠ .

(٨) حسن حنفي: الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية ـ الفكر السياسي، مجلة اتحاد الكتاب العرب، العدان (٤ و ٥) ، دمشق ، ١٩٩٨.

(٩) احمد مصطفى عمر : أعلام العولمة وتاثيره في المستهلك ، المستقبل العربي، العدد(٢٥٦) ، بيروت، ٢٠٠٠ .

٢ ــ العولمة الثقافية:

ركزت على البعد الثقافي الذي يؤكد على توحيد القيم حول المرأة والاسرة وحول الرغبة والحاجة ، وانماط الاستهلاك ، كما يشير الى بروز الثقافة كسلطة عالمية تسوق سلعة تجارية اخرى ومن ثم بروز وعي وأدراك ومفاهيم ووسائل ثقافية عالمية الطابع كون ان الثقافة هي ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والرموز والتعبيرات والابداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها بهويتها الحضارية في اطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والاخذ والعطاء وأخطرها اعتمدت عليه العولمة الثقافية هي المنظورات المرآوية في تعاملها مع الشعوب النامية.

ومن هذا فاننا نلاحظ ان اغلب الباحثين يتفقون على ان العولمة الثقافية ماهي الا عملية تعميم الثقافة الامريكية على العالم، ويحاول بعض الكتاب الامريكيين الايحاء الى ان هناك عوامل سلبية في الثقافات الاخرى للبلدان الاخرى، مما يؤدي الى سيطرة الثقافة الامريكية على هذه الثقافات وهذه الصفات السلبية هي ثقافات مكبلة بالقيود، هي ثقافات ذات توجهات دينية لاعقلانية، وهي ثقافات تستخدم لغة لاتفهمها غير فئة قليلة من رجال الدين، ومن ثم فهي لاتلبي احتياجات الانسان المعاصر الذي يبحث عنها في الثقافات الوافدة اليه والغازية لمجتمعه[١٠]، هذه الثقافة والتي تسمى بثقافة العولمة، قد ظهرت بعد احتضار الثقافة المكتوبة، فهي استطاعت ان تحطم الحواجز اللغوية بين المجتمعات الانسانية مما ساعد على انتشار ثقافة الصورة خارج البلدان التي صدرتها، وتشكلت امبراطوريات اعلامية مهمتها تصدير ثقافة النظام السمعي والبصري والمقروء ومما زاد قبول هذا النظام، هو تراجع معدلات القراءة ومن هنا يكمن خطر هذه الثقافة، لان التلفزيون اصبح المؤسسة التربوية التي تقوم بالترويج لهذه الثقافة، فحل محل الاسرة والمدرسة في التربية، ثم ان التبادل الثقافي العالمي الحالي غير متكافئ، وهو تبادل بين ثقافات متقدمة تمتلك امكانيات واسعة وثقافات اقل تقدمية في الوعي ولا تملك الامكانيات نفسها، اذ يسمى هذا النوع من التبادل الثقافي بالغزو والاختراق، ولهذا نلاحظ ان ثقافة العولمة هذه هي (فعل اغتصابي ثقافي وعدواني رمزي على سائر الثقافات انها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف المسلح فيهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة)[١١] وعلى الرغم من هذا الراي الا ان هناك رايا آخر يرى بان العولمة الثقافية ماهي الا (توحيد القيم حول

---

(١٠) بول سالم : الولايات المتحدة والعولمة ـ معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ .

(١١) احمد ثابت : العولمة والخيارات المستقبلية ، المستقبل العربي ، العدد(٢٤٠) ، بيروت ، ١٩٩٩.

المرأة والاسرة وحول الرغبة والحاجة وأنماط الاستهلاك في الذوق والماكل والملبس، انها توحيد طريقة التفكير والنظر الى الذات والى الاخر، والى القيم، والى كل ما يعبر عنه السلوك وهذه هي الثقافة التي تدعو العولمة الى توحيدها)[١٢] في إطار ما يعرف بالتبشير بالقيم الأمريكية على صعيد الكرة الأرضية، في هذا الوضع يريد من تحلو له العولمة الثقافية بان يعم ثقافة امريكا على العالم في الوقت الذي توصف فيه الثقافة الامريكية على انها (نفاية الثقافات وثقافة النفايات)[١٣].

وقد ادركت امريكا ان سوق الثقافة الراقية والرفيعة محدود ولابد من الترويج لثقافة اكبر انتشاراً واستطاعت بهذه الطريقة ان تصل الى شباب اليوم وان تضع ثقافة محدودة للشباب لذا فهي تسيطر عليهم دون منازع، وينعكس هذا التاثير في المستقبل في كون هؤلاء الشباب نخب المستقبل وقادته وكأنما تريد امريكا ان تضمن المستقبل من الآن لكن حقيقة الأمر هي عكس ذلك تماماً كون أن هذا المشروع يعبر حقاً عن الواقع الفعلي والتاريخي للعالم فهو يقتضي قراءة نقدية تكشف لنا عن المفارقات والتناقضات التي تحملها العولمة في طياتها فهي ظاهرة سلطوية وهيمنة اقتصادية، بدليل بسيط هو ما اظهره استبيان اجري على طلبة جامعة الامارات بشأن ارائهم واتجاهاتهم حول الولايات المتحدة الامريكية، فكان ٦٤% يعتبرون امريكا معادية و٥٥% يعتبرون امريكا تشكل خطراً على الامة العربية و٥٠% يؤكدون ان امريكا تعادي الاسلام، فهذا الجيل الذي يقف هذه المواقف تجاه امريكا هو الذي يستهلك الثقافة الامريكية[١٤].

٣ ــ العولمة الاتصالية:

عولمة ركزت على البعد الاتصالي، وكون عالم الاعلام في الوقت الحاضر، هو عالم بلا دولة وبلا أمة وبلا وطن، لان الحكومات فقدت السيطرة على فضائها الجوي، واصبح الفضاء اللا محدود هو المكان الذي تتحرك فيه العولمة الاعلامية او هو وطن الاعلام ، هذا الوطن الاعلامي يستخدم ما يزيد على خمسمائة قمر صناعي تدور حول الارض، ويستقبل بثها اكثر من مليار من اجهزة التلفاز وهنا تتنوع التحديات التي تواجه الشباب (حصراً) من خلال الإعلام الفضائي المعولم ، فبعد أن وجدت ملايين الفتيات أنفسهن أزاء (عصر إعلامي فضائي) مبهر وبراق يسلب الألباب بعد قطيعة عاشتها الفتاة العربية، إذ كانت صدمتها فجائية مثل صدمة رواد

(١٢) عبد الآله بالقزيز : العولمة والهوية الثقافية ـ عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ . وقارن : بول سالم ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥.

(١٣) عبد الآله : المصدر نفسه ، ص ١٨ . وقارن : أحمد مصطفى عمر ، المصدر السابق ، ص٦٩و٧١.

(١٤) بول سالم : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

كهف أفلاطون وهم يواجهون أشعة الشمس القوية لأول مرة ولاسيما أن الخطاب الإعلامي الفضائي الذي نتحدث عنه جاء مسلحاً بلغة تحث على الأستهلاك في كل شيء، والتقليد والمحاكاة والأنفعال بالآخر في السلوك والعلاقات والقيم الغربية، فواجهت الفتاة ذلك من غير تهيئة مسبقة أو إعداد نفسي وتربوي يمكنها من مجاراته ومحاورته وأمتصاص أنعكاساته قدر الأمكان[١٥]، لكن نظام الاعلام هذا (لايشكل نظاماً دولياً متوازناً لان كل مدخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيه تأتي من شمال الكرة الارضية وهذا ما أدى الى هيمنة الدول المتقدمة عليه في مقابل تبعية الدول النامية)[١٦].

فضلاً عن ذلك نلاحظ ان (العنف) ايضا مربح ولا يستغل استغلالاً أمثل مثلما يحصل في افلام الرعب الامريكية، وكذلك الحال في الصور الخادعة والمقابلات المغشوشة، فأذا كان البعض يتصور أن اعلام العولمة هو الذي اجبر الحكومات على الاهتمام بقضايا الانسان ومشاكل الاقليات، وحول المجتمعات والبيئات الداخلية الى مجتمعات وبيئات عالمية، فالحقيقة هي ان اعلام العولمة هو الذي دفع الناس الى السلوك الأستهلاكي ونشر قيم هذا السلوك الأستهلاكي وهذا هو الذي يضغط على الحكومات ويصور للناس بانه يدافع عن حقوق الاقليات وعن الحرية والديمقراطية، على اساس انه اعلام حر، وهو الذي اصبح جزءاً من الانشطة الاقتصادية ولهذا نلاحظ ان منطق الربح في النهاية يخدم قوى عظمى، ويعتقد صناع هذا الاعلام في منطقتنا العربية ان هدف هذا الاعلام هو دمج الثقافات في ثقافة واحدة هي ثقافة العولمة، ويتم ذلك عبر الاعلام الموجه الذي يستخدم الكلمات والصور، والذي يروج لنمط الحياة الغربية على اساس انها النموذج الامثل وهي حياة المجتمع الرأسمالي، وتشجيع من ينخرط في هذا النموذج من الحياة، لكي يكون هذا التشجيع حافزاً للاخرين للأحتذاء حذو من تقبل هذا النمط من العيش.

٤ـ العولمة الاقتصادية:

ركزت على البعد الاقتصادي، العولمة الاقتصادية هي عملية سيادة نظام اقتصادي واحد ينضوي تحته مختلف بلدان العالم في منظومة متشابكة من العلاقات الاقتصادية، تقوم على اساس تبادل الخامات والسلع والمنتجات والاسواق ورؤوس الاموال والخدمات. ونتيجة لظهور الشركات المتعددة الجنسيات فقد تطورت العلاقات الاقتصادية بين بلدان العالم، وتضخمت هذه الشركات لأستفادتها من فروق الاسعار ونسبة الضرائب ومستوى الاجور[١٧]. فالعولمة الاقتصادية هي التي جعلت

---

[١٥] د. علي الجابري : الإنسان المعاصر، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .
[١٦] بول سالم : المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .
[١٧] أحمد مصطفى عمر : المصدر السابق ، ص٧٧ .

(الاقتصادات العالمية المفتوحة على بعضها، وهي ايدلوجيا ومفاهيم الليبرالية الجديدة التي تدعو الى تعميم الاقتصاد والتبادل الحر كنموذج مرجعي والى قيم المنافسة والانتاجية)[١٨]، حتى الاضطرابات التي وقعت في المكسيك وفرنسا والدول المشابهة لها، ماهي الا أنتاج هذه القوة التدميرية التي تسمى بعولمة الاقتصاد.

لذلك فان صناع العولمة يضعون الاقتصاد كاداة للعولمة لبلوغ المرامي الآتية:

١. سقوط الاعتبارات الاستراتيجية وهيمنة الطموحات التجارية.
٢. ترسيخ الاعتقاد بأن الرخاء الاقتصادي يقود حتماً الى التشابه واستقرار النمط الواحد.
٣. تنامي الشعور بان الكون اصبح اخيراً يسكنه العقلاء الذين يفكرون ويتصرفون بنفس الطريقة ووفق نظرية جديدة في منطقها لانها انتاج تجربة كاملة من تاريخ البشرية كما يدعي ذلك اصحابها[١٩]. ويسخر الآن صناع العولمة رؤساء الدول من أجل زيادة مدخولاتهم المادية وتنمية مصالحهم الاقتصادية، إذ تقلصت المسافات بين الشعوب والأقطار وتلاقت الثقافات، وهو ما تصبو إليه العولمة، وتسعى لفرضه على كافة الأقطار العربية، وذلك بوضع كل التقنيات في خدمة هذا الغرض حتى يصبح نبض الإنسانية يدق على وتيرة واحدة ونغم واحد وهو نمط الحياة الأمريكية (السوبر أمبريالية).

ثالثاً: اخطار العولمة:

إن أخطر ما في العولمة، اجتياح الحدود وتخريب القيم الأخلاقية والوطنية وتدمير البيئة والأمن وتخريب المعرفة والتشكيك بالمقدسات وشعارها (العنف، الجريمة، الأدمان، وتدمير حياة الأنسان) حتى في داخل أمريكا قد تحولت المدرسة والتربية إلى ثقافة العنف[٢٠].

ومن هنا حاول الإنسان أن يسترجع بالنقد والسؤال حضوره الجزئي من خلال عقلانية (كانت وجدلية هيغل) وتبنى هذه الطريقة النقدية التي بادر على وضع أسسها (كانت)، فكان من الضروري أن نطبقها على مشروع (العولمة) لتشخيص ما أفرزته من عوائق وتناقضات على أرض الواقع، لقد روج للعولمة في العقد الأخير من القرن العشرين على أنها مشروع شامل، وكلي، يضم نظاماً أقتصادياً وسياسياً، وثقافياً موحداً هو (النظام العالمي الجديد) الذي سيسود العالم ويحقق للشعوب والأمم (الجنة على الأرض) إلا أن ما أفرزته العولمة على أرض الواقع لحد الآن جاء مغايراً تماماً لمثل

---

(١٨) المصدر نفسه ،ص ٧٤ .
(١٩) السيد ياسين : المصدر السابق ، ص٤٤ .
(٢٠) د. علي حسين الجابري : العرب ومنطق ، المصدر السابق ، ص٩٠ .

هذه الوعود المبشرة[٢١]، وهنا تمكن النقاد والمعارضون للعولمة أن يقضوا على مزاعم المنظرين لها ودحض آرائهم من خلال ما أنتجته هذه العولمة من الفوضى والأرباك متمثلاً بذلك الكثير من الاخطار من بينها:

١. لعبت الشركات المالية التي افرزتها العولمة دور الشرطي في البلدان المضيفة لاستثمارات هذه الشركات، وعلى هذه الدول المضيفة الألتزام بادعاءات معينة في السياسات الاقتصادية، والا فقد يتم سحب تلك الاستثمارات والتوظيفات ويؤثر ذلك في انخفاض عملات تلك الدول وانخفاض العملات الاجنبية، وحدوث افلاسات مالية، مما يضطرها الى الرضوخ تحت أي شروط أو قيود، ويعد ذلك تنازلاً عن جزء كبير من سيادتها.

٢. الافكار التي تطرحها العولمة، هي افكار براقة وتلاقي رواجاً وقبولاً عند الجميع، فهي عندما تطرح حقوق الانسان والديمقراطية والثقافة الحديثة والتخلص من التعصب الديني أو القومي أو العرقي فأن مثل هذه الافكار تبدو لن يسعها أن تكون مقبولة جداً، لكن علينا أن نسال بعد ذلك ماهي الاشياء التي تجري عولمتها؟ فاذا ازداد واتسع السوق، بعد ازالة الحواجز بين البلدان لانتقال السلع والخدمات والاشخاص والافكار، علينا ان نسال ماهي طبيعة هذه السلع التي انتقلت بين البلدان وماهي نوعية المعلومات والأفكار، وماهي نوعية التقدم العلمي؟ فالانسان في عصر العولمة عليه ان يقبل الجديد من السلع والخدمات والابتكارات، فهي اذن عولمة نوع أو نمط معين من الحياة يفرض على الاخرين ويتم تنميق وتزيين هذا النمط الذي يسوق الى العالم كله ، اذا اقتنعنا في ذلك فأن صورة العولمة التي يقدمها الغرب لنا براقة بمجرد الاقتناع بان الهدف هو هذا.

٣. بدأت اشكال جديدة للاستعمار الحديث بعد التحرر من الاستعمار الاستيطاني والأمبريالي تحت عدة تسميات مناطق النفوذ والاحلاف العسكرية في عصر الاستقطاب والشركات المتعددة الجنسيات ومجموعة الدول الصناعية والعالم ذو القطب الواحد، وثورة الاتصالات، والعالم قرية واحدة[٢٢].

٤. العولمة في بلدان العالم الثالث ومنها وطننا العربي هي تعميق للتخلف الاقتصادي، أي فقدان الترابط بين قطاعات الاقتصاد، وتزيد البطالة، وترفع فاتورة الغذاء المستورد للبلدان العربية، ويرى بعض الباحثين بأن (الدولة في منطقتنا العربية قد اصبحت في الواقع وللاسف من اكثر ادوات العولمة فعالية

---

(٢١) محمد تركي : آفاق النقد في عصر العولمة ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٥ .

(٢٢) حسن حنفي : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

ونشاطا)[٢٣] ولكن يرى كاتب هذه السطور أن هذا الراي مبالغ فيه، فلم تصل كل الدول في منطقتنا العربية الى هذا الحد على الرغم من الضغوط الكبيرة التي تمارسها مؤسسات العولمة في منطقتنا كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

رابعاً : الحلول والمعالجات:

بعد أن أوجزنا القول بشأن أخطار العولمة، لابد أن نذكر بالمعالجات لها ومن بينها:

١. على صعيد الشباب الشريحة الأكثر تضرراً من العولمة فمشكلة الفضائيات تتطلب أهتماماً خاصاً من المعنيين بالشان الشبابي بعامة والنسوي بخاصة، إذ يتطلب الأمر جملة برامج ثقافية وتربوية جادة بحيث تعين الفتاة على الخروج من ثقافة الأستهلاك التي يضخها الإعلام الفضائي في رسائل تنطوي على أهداف خفية والتأكد من مخاطر هذه الرسائل التي تنطوي على ثقافة التحلل والعنف والأبتذال والأستعلاء الطبقي، والخروج إلى حيث الحوار العقلاني والوعي الجاد بالحرية المنضبطة والشفافية والثقة بالنفس، فالمطلوب أنشطة ثقافية متنوعة لمراكز الشباب ولوسائل الإعلام والمؤسسات ذات العلاقة بحيث تعزز الثقة بالمرأة وبمجتمعها ومستقبلها وبمؤسساتها وبوطنها[٢٤].

٢. إن توظيف أدوات العلم والتقنية في مواجهة الإعلام المعادي والتنقية والغرس الجميل والتحصين السليم للشباب بما يعزز أدوارهم في التنمية الاجتماعية والمعرفية لهم ، فمن غير روح الحوار المنفتح وثورة المعلومات (الحاسوب) والانترنيت وحوار الثقافات والحضارات لاسبيل إلى بناء (شباب) في مستوى تحديات المرحلة نتعامل معها على سبيل التثاقف وعدم التضاءل أمام الآخر أو تقليده تقليداً أعمى أو محاكاته! فذلك أفتراض لا نريده لشبابنا وشاباتنا وعدم الأستهانة بها إذ يوضح د. الجابري عبارة للأستاذ (حسين كامل بهاء الدين) أن الدخول إليها يجب أن نكون متحصنين منها لنكسب تقدماً وعلماً ولكننا نرفض أن نخسر أنفسنا، لذلك حذر من مواقف المتقدمين إلى العولمة بلا حصانة أو المتطرفين في رفضها بلا وعي أو المهزومين منها بلا رؤية ، أو المتفرجين عليها بلا تحسب[٢٥].

٣. دعوة الدول العربية في تكتلات اقتصادية ــ عربية تحقيقاً للمصالح المشتركة وأنشاء سوق عربية مشتركة من خلال أعطاء فرص أكثر للمشروعات العربية

---

(٢٣) جلال أمين : العولمة والدولة ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٢٢٨) ، بيروت ، ١٩٩٨ .
(٢٤) د. علي الجابري : الإنسان المعاصر ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠.
(٢٥) نقلاً عن : د. علي حسين الجابري، المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

المشتركة والوحدة الاقتصادية العربية ونبذ الخلافات السياسية بين الأعضاء وعدم انسحابها على المشروعات الاقتصادية المشتركة .

٤. وقف نزيف العقول العربية من خلال هجرتها إلى الخارج .

٥. توجيه الأستثمارات العربية داخل المصارف العربية ، بدلاً من توظيفها في المصارف الأجنبية.

٦. فسح المجال والأنفتاح على الخبرة العربية المتمثلة بالشركات العربية التي لديها الخبرة في تنفيذ المشاريع المختلفة وأحلالها بدلاً من الشركات الأجنبية وما تتركه من آثار سياسية واقتصادية تضر بعملة الدول العربية.

٧. توسيع مناطق التجارة الحرة وفق أسس مدروسة بحيث تحقق التوازن والتكافؤ بين الأقطار العربية وتعمل على تسهيل أنتقال السلع والخدمات وبعض عناصر الأنتاج بين الدول العربية .

٨. إن العرب على الأطلاق متخصصون في الصناعة النفطية وسيبقون هكذا بدون منافس عالمياً ، وعليهم أن يتصرفوا بذكاء في أستخدام هذه الثروة التي من الله بها على العرب لتكون نعمة ولأجيالهم[٢٦].

٩. وأخيراً المطلوب التعامل الموضوعي مع ظاهرة العولمة للوصول إلى قوى الخير في العالم لكشف الخطر وأنقاذ الإنسان ، وهذه القوى متمثلة بالعلماء والأدباء والفلاسفة ورجال الدين ورجال الأعمال، فهم قادرون على أضفاء وجه إنساني على العولمة[٢٧].

خلاصة القول نستنتج من خلال هذه الدراسة المتواضعة، بأن العولمة كتعبير عن مصطلح (الأمركة)، ما هي إلا غطاء للهيمنة الأمريكية على العالم، وبهذا فأن على الأقطار العربية التعامل بحذر مع هذه الدعوات الرامية إلى الأنفتاح بكافة أمور الحياة وربطها بالمشاريع التي تخدم المخططات الاستعمارية ومنها تيار العولمة ، كونها ظاهرة لم تكن بمعزل عن التطور الاقتصادي الرأسمالي، وتصاعد الهيمنة المركزية لما بعد عصر الرأسمالية، والدخول في عصر الرأسمالية القادمة، والذي وضع دول الأطراف أمام فلسفة القوة المتمركزة في نظام القطبية الأحادية بعد أنهيار الأيديولوجيات وأنتهاء الحرب الباردة.

فكل هذه العناصر التي ذكرت قد حملت النقاد على الأستنتاج بأن عصر العولمة في ظاهرته السلبية هذه ، والتي تبين بأن العولمة قد تحولت إلى أمركة الاقتصاد العالمي، قد بدأ بالأنهيار وأن البنى الاقتصادية والسياسية والثقافية التي

---

(٢٦) محمد تركي : المصدر السابق ، ص٣٤٦ .

(٢٧) د. علي حسين الجابري : العرب ومنطق ، المصدر السابق ، ص١٣١.

أرتكزت عليها هي الآن في حالة تفكك مستمر، فلابد أذاً من أعادة النظر في المفاهيم التي تشكلت حولها العولمة، بل أن استشراف المستقبل ينبغي أن يدور لا حول الحديث عن العولمة، بل حول التساؤل عن (مابعد العولمة) فأن عصر ما بعد الحداثة يبدو وكأنه يعلن عن بزوغ ثورة حضارية جديدة لم تكتمل معالمها بعد، ولكنها ستتأسس على أنقاض العولمة الراهنة وهو ما حاول الباحث العراقي (علي حسين الجابري) الحديث عنه في كتابه (العرب ومنطق الأزاحات) عمان-٢٠٠٥ مستفيداً من منظوره العمراني والحضاري الجديد والمتفائل، إذ تتراوح القراءات بين المحللين والمفكرين في هذا المجال بأن مؤيد (لصراع الحضارات) ومدافع عن مخرج سلمي ينميه الحوار بين الثقافات، وثالث يمزج بين الموقفين وينادي بتعدد الأقطاب وتكريس فلسفة النقد.

الخاتمة :

من خلال هذه الدراسة تبين لدينا ان العولمة هي نظام تفرد وهيمنة مبنية على اساس الاحتكارات والنزعة التوسعية للدول الراسمالية، اذ يستند نظام العولمة على ايدلوجية اليد الخفية الذي يقوم عليها النظام الراسمالي العالمي المبني على الية السوق والسلع والخدمات فضلاً عن شركاتها الاكثر والاكبر في المنطقة مقارنة بايه دولة اخرى، لكن ميزة أمريكا (لم تعد تكمن اليوم في سعة السوق الوطنية أو فيما لديها من علماء بل صارت تكمن في رخص الأيدي العاملة) وعلى حد قول غارودي: بأننا نعيش عهد تعفن التاريخ المتميز بالهيمنة التقنية والعسكرية الساحقة للأمبريالية التي لا تحمل أي مشروع إنساني قادر على أن يمنح معنى للحياة والتاريخ.

ومع ذلك فالصواب الذي تراه العقلانية العربية النقدية، يتمثل في معرفة العولمة بهدف اكتشاف عناصر الضعف فيها ومقومات القوى فينا من غير ان تلحق ضرراً بهويتنا وحقوقنا ووجودنا ودورنا الحضاري.